

السياسة والتعليم في الاسلام

د. طعمه محمد يوسف
كلية القانون والعلوم السياسية جامعة الانبار

Politics and education in Islam

Abstracter

When we try to consider the issue of politics and education in Islam is determined through the relationship between principle and the educational climate prevailing among the Muslims. We find that the principle of freedom leaves its mark on more than one field in the field of educational as institutes Islamic. Treaties Islamic not subject to the centralized system of education and education There was no intervention by the government in the field of education in the beginning where the religious fervor drives individuals to provide grants for the construction of mosques and libraries.

The governors are interested in the field of science, literature and debates, and they attract scientists of different persuasions and opinions to listen to them. In the Abbasid period, we find that scientists have enjoyed a degree of freedom and show IP helped to achieve scientific progress after becoming Baghdad adjacent to Persia, capital of the Abbasid Empire fled to it many of the scholars of Persia encouraged them successors to seek knowledge have enjoyed these scientists the freedom he loves lovers of science and supplemented created them political stability, economic prosperity of all possible opportunities.

As demonstrated by the principle of freedom in the field of study was the mosques that the student is transferred from the same grade study to another and there was no end to the life or to stay in the grade level. He was the student moving from episode to another as permitted activities on the basis of the number of science that wants to study them .

المقدمة

كان العرب في العصر الجاهلي يعانون من التفكك السياسي والنزاع القبلي وما ولده من حروب بين قوم لم تمنع وحدتهم اللغوية معاداة كل فريق للآخر وبظهور الإسلام بداء البعث السياسي والروحي للأمة العربية على يد محمد عليه الصلاة والسلام حيث استطاع أن يوحدهم في امة واحدة تدين بدين واحد وتخضع لحكومة مركزية قائمة بالمدينة المنورة يدين لها جميع المسلمين بالولاء ويعملون على رفع راية الإسلام في كل مكان إلى أن أصبحت الأمة الإسلامية تمتد إلى الهند شرقا وإلى المحيط الأطلسي غربا ومن شلالات النيل جنوبا إلى بحر قزوين شمالا قبل النصف الثاني للقرن الثامن الميلادي .

وينفرد الإسلام من بين الديانات السماوية بأنه دين ودوله في نفس الوقت أما الإسلام كشريعة سماوية لم يفصل بين شؤون الدنيا وشؤون الآخرة حيث أن الجمع بين مصالح الدنيا ومصالح الآخرة إنما هو أصل من أصول الإسلام طبقا لما جاء في القرآن الكريم (وابتغ فيما آتاك الله من الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) ولما ورد في الحديث الشريف ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة أو من ترك الآخرة للدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه وتلك ولذلك نجد إن تعاليم الإسلام تناولت كلا من شؤون الحياة الدنيوية وربطتها بمصير الإنسان في الآخرة قال تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) على هذا الأساس كان لا بد أن يكون حاكم المجتمع الإسلامي الجديد هو صاحب الرسالة نفسه فإذا كان الإسلام شريعة سماوية فإن الأمر قد تطلب أن تكون هناك حكومة تقوم على تطبيق أحكام هذه الشريعة وتوجه الحياة في المجتمع في ضوء تعاليمها وهو أمر تثبته الآيات القرآنية التي تشير إلى إن الإسلام عقيدة ودوله في نفس الوقت ومنه (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

من هنا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحاكم السياسي والمعلم الأول في نفس الوقت فهو الذي يحكم بين الناس وهو الذي يعلمهم أمور دينهم وقد استمر هذا الجمع بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية سائدا في عصر الرسول وعصر الخلفاء من بعده بل وازدادت سلطة الخلية الروحية في العصر العباسي بتأثير الفرس مما أدى إلى تقوية العلاقة بين الدين والدولة في الحكم الإسلامي وهذه ظاهرة تميز بها الإسلام عن الديانتين اليهودية والمسيحية حيث كانت السلطة الدنيوية منعزلة عن السلطة الروحية في المجتمع القائم حينذاك

من هذا لمنطلق نجد أن النظام التربوي في الإسلام منذ ظهوره كان موجها لخدمة النظام الديني القائم حيث كان الهدف الأول للتعليم هو خدمة الديانة الجديدة وتعليم القراءة والكتابة وإنشاء المدارس كان يستهدف إكساب الصغار المهارة التي تمكنهم من قراءة القرآن وحفظه وتعليم الحساب كان بهدف تعليم المسلمين من حساب الزكاة وتوقيات الشعائر والمواسم الدينية وعلم النحو استهدف حماية الأفراد من الوقوع في الأخطاء اللغوية عند قراءة القرآن الكريم وبالمثل كانت علوم الفقه والحديث والتفسير تعلم لتبصير المسلمين بشؤون دينهم ودنياهم وبذلك كان الاتجاه العام للنظام التعليمي اتجاها دينيا يقوم على الجمع بين أمر الدنيا والآخرة إذ أن الهدف منه كان إعداد الأفراد للحياة الدنيا والآخرة على حد سواء هذا الجمع بين الدين والدنيا نجده ينعكس في نظرة المعلمين إلى عملهم حيث كانوا يترفعون عن اخذ اجر مقابل التعليم على أساس إن التعليم وما يتميز به من طابع ديني كان يستهدف من ورائه التقرب إلى الله فهم يعلمون الناس في الدنيا أمور دينهم ودنياهم من أجل تحقيق سعادتهم في الحياة الآخرة .

وإذا كان علم السياسة وعلم القانون الدستوري والأنظمة السياسية ليس فحسب علم البحث عن الحقيقة إنما هو كذلك بل وقبل ذلك علم البحث عما هو نافع للمجتمع فإننا نجد ان النظام الإسلامي القائم في المجتمع كان يستهدف خدمة جميع المسلمين بالعمل على توفير نوع من التعليم يحقق للأفراد صالحهم في دنياهم وأخرتهم على أساس الشريعة السماوية التي لم تفرط في الكتاب من شي .

أهداف البحث:-

يهدف البحث الحالي إلى :-

١. تحديد مفهوم نظام الحكم في الإسلام

٢. تحديد مبادئ نظام الحكم في الإسلام
٣. التعرف على التعليم في أنظمة الدولة العربية الإسلامية
بمحاورها الثلاثة (العصر الراشدي والعصر الأموي والعصر العباسي)

منهج البحث:-

اعتمد الباحث المنهج التحليلي لبعض مصادر والدراسات السابقة التي تناولت السياسة والتعليم في الإسلام إذ إن هذا المنهج لا يعتمد التحليل الكمي للوثائق بل الكشف عن الأفكار واستنتاج المتغيرات الأساسية منه ذات العلاقة بموضوع البحث.

نظام الحكم في الإسلام:

إن القرآن الكريم هو الأصل الأول والمصدر العام للإسلام ولم يأتي فيما يتعلق بنظام الحكم (أي الشؤون الدستورية) بالمبادئ العامة الأساسية دون تعرض للتفاصيل والأساليب والجزئيات التي بطبيعتها تتطور وتتغير بتغير ظروف الزمان والمكان وذلك كما يقول الشيخ خلاف (لتراعى فيها كل أمة ما بلانم حالها وتقتضيه مصالحها وكما يقول الشيخ شلتوت (إن تفصيل ما لا يتغير وإجمال ما يتغير) إحدى الضرورات التي تقتضي بها ويتطلبها خلود الشريعة ودوامها فالإسلام إنما جاء في ميدان شؤون الحكم بمبادئ عامة تسمع عموميتها ومرونتها بالتطبيق في صور وأساليب مختلفة بما تقتضيه مختلف ظروف الزمان والمكان فالإسلام لم يأتي بنظام معين من أنظمة الحكم إن فرض نظام معين من أنظمة الحكم (كنظام الخلافة وغيره) في كافة العصور وكافة الأقطار إن لم يكن يعد ضرباً من ضروب المحال فهو يؤدي بالأقل إلى الحرج الذي رفعه الإسلام عن المسلمينⁱⁱ على هذا الأساس نقوم في الجزء التالي بعرض بعض مبادئ العامة الخاصة بنظام الحكم في الإسلام أو ما يسمى حديثاً بالشؤون الدستورية موضحين كيف انعكست هذه المبادئ العامة على طبيعة النظام التعليمي الإسلامي وتأثيرها على الخطوط العريضة للسياسة الموجهة للتعليم عند المسلمين.

مبادئ نظام الحكم في الاسلام

أولاً:- مبدأ الشورى

يعد مبدأ الشورى أهم المبادئ الدستورية التي يقوم عليه نظام الحكم في الاسلام ، وإذا كنا نجد خلافاً بين علماء الشريعة حول بيان تلك المبادئ ، فإن مبدأ الشورى كان موضع اتفاق الجميع كما كانوا يضعونه دائماً من تلك المبادئ على رأسهاⁱⁱⁱ ويتفق هذا ما تضمنته تعاليم الاسلام المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، من الآلة على حجية الشورى والتي يقول تعالى في إحدى آياتها (وامرهم شورى بينهم)^{iv} ، كما امر الله تعالى رسوله بان يسير على هذا المبدأ في حكمه للمسلمين قائلاً ((وشاورهم في الامر))^v

وإذا نظرنا ذلك الى اقوال الرسول واعماله نجد انها تتفق مع هذا المبدأ ففي غزوة بدر اخذ برأي اصحابه عند اختيار المكان الذي نزل فيه المسلمون وهو القريب من الماء سائراً بذلك على المبدأ الذي نادى به هو ((ماندم من استشار ولا خاب من استخار))^{vi} وأذا كانت المندوبة في علم الاصول تعرف بانها الفعل الذي يحمده فاعله ولا يذم تاركه ، فإن علماء المسلمون يجمعون على ان الشورى لاتتمثل ((مندوبة)) بل هي فرض واجب محتوم ويستندون في ذلك الى الأدلة التالية :-

- ١- ان القرآن الكريم قد اشار الى الشورى في آيتين : ففي احدهما قد وضع الشورى الى جانب ركنين هامين من اركان الاسلام (هما الصلاة والزكاة) حتى كان يعدها بالنسبة للمسلم المؤمن إحدى صفاته او شرائطه الأساسية وفي الآية الثانية نجد الله قد وجه الخطاب الى الرسول بان يلجا الى الشورى بصيغة الامر ، اذ قال تعالى (وشاورهم في الامر) .

٢- يستندون الى ما كان معروفاً عن الرسول من كثرة التجائه الى الاستشارة وكذلك كان شان ابي بكر وعمر ، وقد كان عمر اذا نول به الامر لايرمه قبل ان يلجأ الى المشوره ، وكان يقول (لا خير في امر ابرم من غير شوري)^{vii} .

واذ بحثنا بع ذلك عن العلاقة بين هذا المبدأ الاساسي في نظام الحكم في الاسلام وبين التعليم نجده يتمثل في موقف الاسلام من العلم وتقديره للعلماء فنظراً لما هو معروف من انه لافائدة تجنى من وراء الاستعانة بمصادر الجهل ، فقد حثت تعاليم الاسلام المستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة على نشر العلم وتقدير العلماء فمن الايات الخاصة بهذا المعنى قوله تعالى ((وقل ربي زدني علماً) وقوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

وفي حديث قدسي (يبعث العابد والعالم يوم القيامة فيقال للعابد أدخل الجنة ويقال للعالم: قف حتى تشفع للناس كما أحسنت أدبهم وإذا نظرنا إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم نجد منها (اطلبوا العلم ولو كان في الصين) وهو ما دفع المسلمين إلى طلب العلم والبحث عنه في كل مكان، حيث قاموا بنقل الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية وسافر المترجمون إلى مختلف انحاء الامبراطورية الإسلامية بحث عن المخطوطات لترجمتها إلى العربية، ويرتبط بهذا أيضاً ما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم من حثه للصحابه على تعلم لغة أجنبية ، ومنها (أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد) و (يوم القيامة يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء و لا خير فيمن كان من أمتي ليس بعالم ولا متعلم).

وإذا نظرنا إلى ممارسات الرسول صلى الله عليه وسلم نجده كان يطلق سراح الأسرى من المتعلمين مقابل أن يعلم كل منهم عشرة من المسلمين الأميين القراءة والكتابة.

من اجل هذا فقد حرص المسلمون على نشر العلم والتعليم، لمساندة مبدأ الشورى، عن طريق إتاحة الفرص لكل فرد لكي يصل إلى درجة من العلم تؤهله حسب قدراته وإمكانياته لأن يشارك ضمن أهل الشورى على أساس من العلم والمعرفة. ولهذا فقد كان الخلفاء يقربون إليهم العلماء، وينفقون عليهم بسخاء، مما دفع الكثيرين إلى طلب العلم، فإن أهل الشورى في الإسلام له يكونوا عامة الناس أو غالبيتهم إنما هو قلة من تتوافر فيهم شروط خاصة من العلم والصلاح)^{viii} ، فقامت لذلك حركة هائلة لنشر التعليم، حتى أصبح في القرن الثاني الهجري بكل قرية كتاب، بالإضافة إلى ما كان يتم من تعليم ابتدائي في قصور الخلفاء لتأهيل أبنائهم لمهام الحكم، كما كانت حوانيت (الوراقين) مراكز علمية لعقد الندوات والمناظرات بين العلماء والأدباء والفقهاء، بل وقامت الحلقات التعليمية في المنازل أسوة بما كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم من تعليم الصحابة لمبادئ الدين في دار (الأرقم بن أبي الأرقم) وفي العصر الأموي ظهرت الصالونات ادبية وازدهرت في العصر العباسي وأصبحت مراكز للعلوم والآداب والفنون. كما ازدهرت العلوم العقلية في العصر الأموي، والعلوم العقلية في العصر العباسي إلى أن انهارت هذه النهضة العلمية بعد عصر (الوائق) لتدهور الوضع السياسي.

هذا وقد تأثرت حركة التعليم في العصور الإسلامية المختلفة بالاتجاه المذهبي السياسي للنظام الحاكم، الذي اتخذ من العلم وسيلة للتشكيل السياسي للمسلمين وفق اتجاهاته ومعتقداته: ففي عهد الفاطميين كانت المؤسسات التعليمية تستهدف الدعاية لايديولوجيتهم الدينية، حيث أقاموا الجامع الأزهر في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي للدعاية للمذهب الشيعي كما كانت السياسة التعليمية في عهد صلاح الدين الأيوبي، تقوم على محاربة المذهب الشيعي والدعاية للمذهب السني، كما كان نظام الملك مؤسس نظام المدرسة قبل منتصف القرن الخامس الهجري، يتخلص من الأساتذة الشيعيين ليحل محلهم غيرهم من السنيين، وكانت المدرسة تهتم بتدريس الفقه الإسلامي وفقاً لأحد المذاهب الإسلامية الأربعة، تدعوا إلى ذلك " فقد قامت على أنقاض البويهيين والفاطميين، وهما من انصار الشيعة، دولتا السلاجقة والأيوبيين، وهما من أهل السنة، ولذلك أقام السلاجقة والأيوبيين مدارس لتقاوم ما غرسه أهل الشيعة من عقائد بالإضافة إلى نشر المذهب السني^{ix} ، وكان من بين فئات الدارسين بالأزهر فئة من المهتمين بالشؤون الدينية والأدبية

والسياسية، وهؤلاء كانوا يشتركون في ندوات خاصة سميت (مجالس الحكمة) وكان يرأسها مسؤول ديني وسياسي أطلق عليه اسم (داعي الدعاة)^x وفي مجال تأثر العلم باتجاهات الهيئات الحاكمة يقول سعد مرسي (ولعل الموقف السياسي الداخلي كان يدفع الحكام إلى سلوك معين فقد قامت الدولة العباسية على أنقاض دولة بني أمية، وكانت لها عظمة من السهل إعلاء عقول الناس منها، كما أن هناك الشيعة الذين يرون أن أحق الناس بالخلافة هم آل أبي طالب، وأن آل العباس اغتصبوا الخلافة منهم، هذا إلى جانب مذاهب دينية في الظاهر وسياسية في الباطن، كالخوارج والمرجئة، ولهذا فقد تلون التاريخ بما يرضي السلطات الحاكمة... حتى في الفقه عمل بعض الفقهاء على التوسع في الحيل الشرعية إرضاء لمطالب الخلفاء، وفي النحو واللغة تدخل العباسيون أيضاً/ فعندما أحتدم النزاع بين البصريين والكوفيين أخذ العباسيون جانب الكوفيين^{xi}.

ويتفق هذا مع ما سبق أن أشرنا إليه من أن التعليم يعمل دائماً في إطار سياسي يستهدف خدمة النظام السياسي القائم في المجتمع، عن طريق تشكيل العلاقات بين الناس على أسس جديدة لم يعودها العرب نم قبل، فقد كانت حياتهم في العصر الجاهلي تنسم بالتعصب القبلي وتسودها روح الاعتزاز بالانتماءات والتفاخر بالانساب والألقاب فجاء الإسلام منادياً بالمساواة بين جميع البشر، وليجعل اساس التمايز قائماً على أساس العلم والتقوى، تماشياً مع قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ليس لعربي على عجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ولما كانت المفاضلة المناصب العليا من حق العرب، فهم يدبون الدولة ويتولون قيادة الجيوش^{xii}، والهدف الأسمى للنظام هو نشر الدين الإسلامي ولما كانت اللغة العربية هي لغة الدين الجديد، فقد انتشرت هذه اللغة بقدر انتشار الإسلام بين مختلف الشعوب والأجناس باعتبارها اللغة الرسمية في الدولة، ولغة الدين، ولغة التعليم، كما كان الجنود العرب ينظرون إلى مهمتهم على أنها مهمة دينية تعليمية بالدرجة الأولى، ومن ثم فقد كانوا يتولون تعليم أبناء البلاد المفتوحة للدستور الإسلامي المتمثل في كتاب الله، ويصرونهم بشؤون وتعاليم الديانة الجديدة، مما جعل الطابع العربي الإسلامي هو المميز للنهضة التعليمية في مختلف العالم الإسلامي.

ولما كان نظام الحكم الإسلامي يقوم في مبادئه على أساس تعاليم الدين ويستهدف نشره بين الجميع، فمن هنا حرص النظام على إتاحة كافة الفرص لكي يتعلم الجميع مختلف جوانب هذا الدين، فالإسلام لا كهانة في ولا وساطة في بين الخلق والخالق، وليس في الإسلام كما يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه فإن لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله، وعن رسوله من كتاب رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف، وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم^{xiii}.

لذلك فقد أقبل الجميع على تعلم الدين الجديد، وسادت المناهج التعليمية للعلوم الدينية التي يتمثل محورها في تعليم وتحفيظ القرآن الكريم وما يخدمه من علوم أخرى، ولهذا السبب أيضاً فقد بدأت المدارس في المساجد، بل واتسمت طرق التدريس بالمساجد بالطابع الديني، فمنذ أن جلس النبي في المسجد معلماً، صار التقليد أن يجلس العلماء بين المسلمين تقوم في الاتجاه الجديد على أساس التفاوت بين الأفراد في مجال العلم والتقوى والخلق، فقد حرص المسلمون على تحصيل العلم حتى ترتفع مكانتهم ومركزهم الاجتماعي بقدر ما يحصلونه منه، حيث كانت طبقة العلماء هي لرفع مكانة في الدولة تماشياً مع ما جاء في القرآن الكريم - دستور المسلمين - في قوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقوله تعالى (ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات) وقوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) ويتفق هذا المبدأ مع طبيعة الإسلام كرسالة للناس كافة، حيث يقول تعالى في كتابه الكريم (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، وقد أنتشر الإسلام بين مختلف الشعوب والأقوام مازجاً بين مختلف الأجناس والألوان تحت راية العقيدة الجديدة، فكان طبيعياً أن ينادي رسول الإسلام بأن الناس سواسية كأسنان المشط، لكي يحرص الجميع على الاجتهاد في العمل والتقوى وتحصيل العلم، بعد ان أصبح التمايز بين الناس قائماً على أساس الأعمال لا النساب،

ثانياً: مبدأ المساواة:

وفي إطار هذا المبدأ ، امتدت روح المساواة لتشمل الجنسين في مجال حق التعليم فالحديث الشريف ينص صراحة على أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم، يأمر المسلمين بأن يأخذوا نصف دينهم عن السيدة عائشة رضي الله عنها، مما يثير ليس فقط إلى حق المرأة في أن تتعلم، بل وإلى واجبتها أيضاً في أن تعلم الآخرين، والتاريخ الإسلامي مليئ بالشواهد التي تدل على أن النساء المسلمات كن يعلمن الرجال والنساء ويجزون لكلا الفريقين، كما كانت هناك فصول مشتركة يتعلم فيها الذكور إلى جانب الإناث، إمعاناً في تطبيق مبدأ المساواة بين الجنسين في مجال التعليم كان مبدأ ديمقراطي التعليم في أن مبدأ المساواة بين جميع المؤمنين كان هو الأساس الذي بنيت عليه معاهد العلم الإسلامية، فلم تكن المعاهد مؤسسة وفقاً لنظام طبقي، بل كانت المعاهد الإسلامية مفتوحة لجميع المسلمين، غنيهم وفقيرهم على السواء، كما بذلت الجهود لإزالة العوائق المادية التي قد تحول دون تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، وحبس العرب الضياع والممتلكات على المدارس للانفاق منها على المعلمين والتلاميذ حتى لا يكون العامل المادي عائقاً أمام الفقراء للتمتع بحقوقهم في تحصيل العلم إن الإسلام كدين ودولة، قام نظام الحكم فيه على أساس عربي إسلامي، فتولي وحولهم المستمعون، وهذا هو نظام الحلقات التي انتشرت في ربوع العالم الإسلامي ، فكان العالم يجلس إلى أحد الأعمدة في الجامع ، متكئاً عليه يظهره ، ومتجهاً إلى القبلة ، وحوله الطلبة في حلقة .. وكان العالم أي الشيخ يبدأ الدرس بالبسملة والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم يقرر الدرس بالدقة ، ثم ختمه بقرأة الفاتحة^(xiv) .

ثالثاً:- مبدأ الحرية :

إن مبدأ الحرية يمثل ثالث المبادئ الإسلامية العامة التي بها القرآن الكريم فيما يتعلق بنظام الحكم . فقد كفل الإسلام جميع أنواع الحريات لكل من تظلمهم راية الحكم الإسلامي . فمن ناحية الحرية الشخصية ، والتي تشمل في تعريف الفقه الدستوري الحديث ثلاثة حقوق أو حريات ، هي حرية التنقل وحق الأمن، وحرية المسكن ، نجد أن أحكام الإسلام قد كفلتها جميعاً فبالنسبة لحرية التنقل نجد أن النفي إلى الأبعاد إنما يعد عقوبة لم يذكرها القرآن الكريم إلا جزء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً "إنما جزء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض والإسلام يسمح بتحديد أو تقيد هذه الحرية بما يقتضيه النظام العام ، فالخليفة عمر ابن الخطاب كان يحرم على الصحابة وأهل الرأي مغادرة المدينة إلا لولاية يتولونها أو لقيادة جيش يقودونه أي لانه يريد أن ينتفع بهم ويأرائهم في حكم المسلمين وبالنسبة لحق الأمن فالإسلام يكفل حق الأمن بما قرره من عقوبات تشمل ما هو معروف بالحدود (لأعدوان الأعلى الظالمين) و(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وبالنسبة لحرية المسكن كفلها الإسلام في الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى حرية الرأي نجد أن الإسلام كفل للفرد حرية إبداء الرأي طبقاً لما ورد في دستور الإسلام (ولتكن منكم أمتا يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) و(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ولما جاء في الحديث الشريف (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) و(وان كل مجتهد ماجور : إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران) فالمثوبة على الاجتهاد حتى في حالة الخطأ دليل على أن الإسلام يقدر حرية الرأي ويحث على إبدائه وبالمثل نجد أن حرية العقيدة الدينية قد كفلها الإسلام ويقصد بها حرية غير المسلم في اعتناق الدين الإسلامي وحرية إقامة شعائره الدينية كما تعني أن يكون إيمان المسلم عن طريق البحث والنظر والتأمل لا عن طريق مجرد التقليد للآباء، ويستدل على هذا ما ورد في القرآن الكريم (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) و(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) و(أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض) و(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لايحقيلون شيئاً ولا يهتدون)^(xv) .

وعندما نحاول فحص العلاقة بين هذا المبدأ وبين المناخ التعليمي السائد عند المسلمين نجد ان مبدأ الحرية يترك بصماته على اكثر من مجال في الميدان التعليمي كالمعاهد الاسلامية فالمعاهد الاسلامية لم تخضع لنظام مركزي في التربية والتعليم ولم يكن هناك تدخل من جانب الحكومة في مجال التعليم في البداية ، حيث كان الحماس الديني يدفع الافراد الى تقديم المنح لبناء المساجد والمكتبات^(xvi)

كما اهتم الولاة ايضا بمجال العلم والادب والمناظرات ، وكان يجتذبون العلماء على اختلاف مذاهبهم واراتهم للاستماع اليهم^(xvii) .

وفي العصر العباسي ، نجد ان العلماء قد تمتعوا بقدر من الحرية وابداء الراي ساعد على تحقيق تقدم علمي مذهل ، فبعد ان اصبحت بغداد - المتاخمة للفرس - عاصمة للدولة العباسية ، نزح اليها الكثير من علماء الفرس شجعهم الخلفاء على طلب العلم ، كما لم ييخل ولاة المسلمين على العلماء في الاراضي التي كانت خاضعة للحكم الروماني من قبل ، وتمتع هؤلاء العلماء بالحرية التي يعشقها محب العلم ، كما هيا لهم الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي كل الفرص الممكنة ، وكان هناك من دم العباسيين في عصرهم ، كما ابدى بعض مؤرخيهم المعاصرين اراءهم في حرية ، بل ان الحرية في مزج فلسفة اليونان بالاسلام تشير الى ما تمتع به العلماء من حق في ابداء الراي وكان الخلفاء الراشدون والامويون والعباسيون يجادلون الخوارج والنصارى واليهود والصائبة والمجوس بالتي هي احسن ، ويدرون عليهم الارزاق ويفتحون لهم ابواب معاهد العلم ، كما تجلى مبدأ الحرية في ميدان الدراسة بالمساجد فكان الطالب هو الذي ينقل نفسه من مرحلة دراسية الى اخرى ولم يكن هناك حد للسن او للبقاء في مرحلة دراسية، وكان للطالب ان ينتقل من حلقة الى اخرى حسبما يسمح نشاطه وعلى اساس عدد العلوم التي يرغب في دراستها .

المصادر :

- ١- القرآن الكريم
- ٢- عبد الحميد متولي، الاسلام ومبادئ نظام الماركسية والديمقراطية العربية ، الاسكندرية ، الطبعة الثالثة . ١٩٧٦ .
- ٣- عبد الحميد متولي ، المصدر السابق . الطبعة الرابعة. ١٩٧٨
- ٤- تفسير القرطبي: الجامع لاحكام القرآن
- ٥- محمود عبد الرزاق شفيق ومنير عطا الله سليمان . تاريخ التربية . دار النهضة العربية. القاهرة . ١٩٦٨ .
- ٦- سعد مرسي احمد، نظام الحكم في الاسلام ، الاسكندرية دار المعارف . ١٩٧٢ .
- ٧- صالح عبد العزيز: حرية الفكر في الاسلام ، منشاة المعارف الاسكندرية. ١٩٧٣ .
- ٨- عبد الحميد متولي ، ازمة الفكر الاسلامي في العصر الحديث ، منشاة المعارف الاسكندرية . ١٩٧٤ .

الهوامش

١. - عبد الحميد متولي : الإسلام ومبادئ نظام الحكم في الماركسية والديمقراطيات العربية . منشاة المعارف الإسكندرية ١٩٧٦. ص ٩

٢. ii عبد الحميد متولي :مبادئ نظام الحكم في الإسلام الطبعة الرابعة

٣. iiiii المرجع السابق ص ٢٤١ .
٤. iv ال عمران الآية ٣٨
٥. v سورة ال عمران الآية ١٥٩
٦. vi تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن
٧. vii عبد الحميد متولي ، مبادئ نظام الحكم في الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .
٨. viii عبد الحميد متولي مبادئ نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٨٩ .
٩. ix محمود عبد الرزاق شفق، ومنير عطا الله سليمان، تاريخ التربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٩٣ .
١٠. x المرجع السابق: ١٩٩ .
١١. xi سعد مرسي أحمد، التربية والتعليم في الإسلام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٧٠ .
١٢. xii سعد مرسي أحمد، مرجع سابق، ص ١٦٥ .
١٣. xiii عبد الحميد متولي، أزمة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٤، ص ٩٨ .
١٤. (xiv) سعد مرسي أحمد ، مرجع سابق، ص ١٨٨ ، ١٨٩
١٥. (xv) عبد الحميد متولي، مبادئ نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٧٩ .
١٦. (xvi) صالح عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٢٦
١٧. (xvii) محمود عبد الرزاق شفق ومنير عطا الله سليمان، مجمع سليمان، مرجع سابق، ص ١٩٥

